

المصباح

١٣١٥

مصر في يوم السبت ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣١٧ الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٨٩٩

﴿ رد على باحث في كتاب سر تقدم الانكيزر السكسونيين ﴾

(لحضرة الكاتب الفاضل صاحب الامضاء)

قامت نهضة الاقلام في هذه الايام الاخيرة تكيّف الداء الذي ألمّ بحال الامة وتنبهه بوصف العلاج الناجع لها وقد دارت أبحاثها على ان الدواء الصحيح لشفائها من هذا الضعف القتال هو الرجوع الى الدين وهذا ضياء في القلوب قد سطع ويشرح قلب المؤمن الغيور على أمته ولكننا نأسف كل الاسف من ان هذا الشماع الذي ظهر ما أوشك ان يتم نوره حتى خالطه غيم في الافكار واختلاط في الشعور وافراط في النزعة

فقد يزرع بعض الكاتبين الى التشديد على كل فكر بيديه صاحبه في اصلاح الامة اذا لم يفتحه باسم الدين ولم يعلق كل مقدمة منه بنص من نصوص الدين والا نقد كل مؤلف عرضت فيه سنن الله في خلقه وشؤونه في عباده متى لم يذكر فيه اسم الدين وان كان جلّ ما فيه من مخ الدين كما فعل الباحث في كتاب سر تقدم الانكيزر السكسونيين الذي نقله سعادة احمد بك فتحي زغلول الى لغتنا العربية الشريفة في مقاله التي نشرت في العدد الاخير من

جريدة الموسوعات الغراء حيث بنى نقد الكتاب وترجمته على انه لا يرجى
للأمة الإسلامية خير الا من الدين حتى يخيل لقارئه ان جميع ما في الكتاب
يناقض الدين مع انه لاشي مما يوهمه مقاله بمتوهم

نعم الدين خير الوسائل لاصلاح الاخلاق وتقويم النفوس وتطهير
الارواح وهو المرشد الاول الى النظر في دقائق الكون وما أودعه الله من
سر ارتباط الاسباب بمسبباتها وقد دعانا الى ان ننظر في احوال الامم الغابرة
ونحيط بما حولنا من شؤون الامم الحاضرة ونأمل في تاريخ هذا الوجود وفي
اطواره وفي تصرف الله في شؤونه وفتح لنا مجال الافكار وميدان الادراك
وأمرنا بالتفكير والاعتبار كل هذا لنزداد في عقائدنا قوة وفي يقيننا ثباتاً ومثابرة
وفي امرنا رشاداً ولنتقي ما عساه يصل الينامن يطمع فيناو يعدو بيفيه علينا

وهذا قرآنا الشريف غالب آياته عبر وروايات عن حوادث الشعوب
الاولى ومرآة للتواريخ الماضية قد ساقها الله لنا في خلال أوامره ونواهيها
لتكون أقرع في الحججة وأوقع تأثيراً في القلوب الحية

وقد مثل لنا كتاب سر تقدم الانكليز حال أمة رقت في المدنية درجة
رفيعة عرفها لها أعداؤها وبهذه المدنية نفسها اصابنا منها ما نشكو الى الله
عواقبه ونلوم انفسنا على ماجر بنا اليه وقد جملت من اهم اصول التربية عندها
الاعتماد على الله ثم على العمل عمل الانسان بنفسه وتصرفه فيما منحه الله
من القوى ووجهت عنايتها لغرس الوطنية الصادقة في القلوب مع تنظيم
أماكن تعليمها وترقية زراعتها وصناعتها ثم قابل بينها وبين أمة تركت الاعتماد
على العمل وأهملت كثيراً من تلك الوسائل في سيرها الى الغاية التي تسير
اليها الامم وكانت النتيجة سيادة الاولى وانحطاط الاخرى

أليس يجب ان يكون هذا الكتاب خير موعظة تهدي للاعتبار وخير ذكرى تقدم لامة من اصول دينها النظر في الموجودات لتزداد بصيرة في قدرة الله وتديبره في خلقه واحتياط لنفسها بالعمل على ما تراه من سنن الله في غيرها وفيها والمقابلة بين السنتين والنظر في سبب تباين الطورين مع الرجوع في ذلك كله الى اصول دينها

وقد قصد سعادة المترجم بكتابه هذا تنبيه الافكار الى معنى جليل ربما لم يخطر على بال الباحث ولكنه يخطر على بال المتأمل. قصد ان يثبت لامته ان الاخلاق الفاضلة والتربية الصحيحة أينما حلت في امة رفعتها لذروة السعادة وصعدت بها في معارج السيادة فكيف بنا اذا اخذناها عن ديننا وهي من أخص مزاياه لاشك ان تأثيرها يكون فينا اعظم وفعالها في طباعنا انجح اي ننديد يسمح به دين الباحث يصح توجيهه الى مثل سعادة المترجم وقد اهدى امته مرآة عبر يرى في احد وجهيها امة راقية أوج المدنية ببركة التمسك بالعوامل السليمة وأخرى هابطة من رفعتها بسبب اهمالها تلك العوامل خصوصاً اذا اعتبرنا ان روح الترقى وهو الاستقلال الشخصي هو بعينه روح الدين الاسلامي. والاسلام هو اول دين افضى بالعبد الى ربه مباشرة بلا واسطة رئيس ولا نائب وهو الذي دعا الى العمل بالاسباب وقضى بان لا سبيل الى السعادة الا بالعمل بمد الاستعانة به وحده

وكأنني بالباحث يميل الى القول بان سعادة المترجم لا يروق في نظره تهذيب الدين وآدابه ولهذا اختار النصيح لامته من الطريق الذي سلكه ولكن هذا سبق نظر أو سوء ظن بدون قرينة عليه ومن يطلع على كتابات سعادة المترجم او يتلو شيئاً من كتاب الاسلام الذي نقله الى العربية يعلم قوة

إخلاصه في دينه وغيرته على يقينه وهذا كتاب سر تقدم الأنكليز قد ختم
 بفصل في الكلام على الدين ويبين ان سعادة الامم بصلاح الدين وشقاءها بفساده
 وقد ذهب حضرة الباحث في مقاله الى ان حب الخير وحده ليس
 كافياً في سعادة الامة بل لا بد من بث الرغبة او الرهبة او كليهما في الناس
 وتلك الرغبة او الرهبة ان لم تكن من الله تعالى فمن السلطان وهذا لا يخالفه
 فيه وسعادة المترجم لا يطالب الناس بالانسلاخ عن دينهم والابتعاد عن الله
 تعالى ولا مخالفة السلطان عند مطالعة كتابه. وأعجب من هذا ان حضرة
 الباحث قال في مقاله (لو أراح المؤلف نفسه من عناء التحرير والتجوير ودعا
 الناس الى اخذ علم الدين والاخلاق عن اهله وعلماؤه لافاد وأجاد وفينا بحمد
 الله تعالى من علماء الدين واطباء النفوس من يعدون بالمئات)

وانا نسأله بحق دينه ان يثبتنا باسماء عشرة من تلك المئات حتى ندعو
 الناس الى دروسهم وايخبرنا بدروس الاخلاق والآداب التي يلقونها
 واولقاتها ولا شك ان سعادة المترجم وغيره من اهل الغيرة يهضون لحث
 الناس للتربع في حلقات دروسهم

فان كان من تؤخذ عنه الآداب المصممة للامم في درجات الترقى يبنون
 هذا العدد فلم لم يؤلفوا بانفسهم الجمعيات لدعوة الناس الى تلقي الآداب
 وسماع المواعظ عنهم ولم لم يبدؤوا على الاقل باصلاح خطب ايام الجمعة ووضعها
 في عبارة تفهمها العامة وايداعها معاني تنفذ في افئدتهم ويظهر اثرها في عملهم
 واما الجامع الازهر فانا نسأل الله ان ينبه في علمائه عين الدين ويوقظ في
 ارواحهم النظر الى مصالحه بل ومصالح انفسهم
 وايت شمري علام عمت الشكوى من المحاكم الشرعية وحوار المصريون

في اصلاحها وما الذي بعث الاجنبي على التداخل في شؤونها وحمل جميع
الكاتبين على الاقرار بوجود الخلل والفساد فيها وانما لاموا الاجنبي في
الهجوم عليها وطلبوا منه ان يدع الامر لاهله وان بكل اصلاحها الى اهل
الدين حتى يكون قوام الاصلاح هو الشرع القويم

هل قال احد بان الشرع قائم في محاكمه؟ هل اعترف أحد بان العدل
غالب على القضاة في تلك المحاكم؟ بل هل أقر احد بان النصف من عددهم
قائم بالعدل في أحكامه بعيد عن الهوى في مذهبهم وآرائهم؟ فان لم نجد الاصلاح
في أولئك القضاة غالباً وهم منتخبون من علماء ذلك الجامع المعمور فهل نجد
من يسمع قولنا اذا دعونا العالم لحضور مجالس من تلقوا عنهم . انهم تلقوا
وغيرهم يتأتمون دروس الفقه وشيئاً من دروس العربية يحضرون تلك الدروس
على انها صناعات بل على انها عبارات يجب على الطالب ان يفهمها لانها
ألفت في كتبها لا لاجل ان يتفهم بما دلت عليه كما هو معلوم أما الآداب
السامية فهي في بطون الكتب التي لا يقرؤونها ويمدها الكثير منهم من سقط
المتاع فهل من واعظ يمظ من يحق لهم ان يمظونا؟

تكلم الكاتب على النظافة نظافة الظاهر ونظافة الباطن فهل نجد بها
عناية في ذلك المحل الذي يجدر به ان يكون أنظف مكان وأقدس وأشرفه
الا اننا نستجير بمثل الكاتب في ارشاد أهله ومتولي شؤونه ان يجعلوه ومن
فيه قدوة في النظافة ظاهراً وباطناً

ان الكاتب لم يذكر الا شخصاً واحداً من اهل العلم ألف جمعية مكارم
الاخلاق فنعم الصنيع صنيعه ونسأل الله ان يرشده الى اقوم السبل فيما هدي
اليه وان يقيه شر المجلة واستسها ان نيل الغاية حتى يظهر لعماله من الاثر ما نحب لعمالتنا

فهذا كله يحملنا على ان ننظر في سير غيرنا لنعلم كيف وصلوا الي السيادة على غيرهم فاذا رأيناهم وصلوا بالعمل لا بالقول ورجعنا الى ديننا فوجدناه قائماً على رؤوسنا ينادينا بقوله (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) استحينا وخبنا وقتلنا ما كان اجدرنا بان يعمل كل منا بما هو ميسر له وما كان اولانا بالجد وترك الهزل وما احقنا بالنظر الى الغايات دون النظر في تحقيق المبارات واني ارى من الواجب على حضرة الباحث وهو اعلم منا بما هدت التربية ودروس الآداب ان يبدأ بتأليف جمعية من الشبان ان كان شاباً ومن الكهول من الشيوخ ومن الشيوخ ان كان شيخاً فنذهب الى تلك الدروس وتلقي من الآداب ما يعيد الى الامة ما فقدته من دينها ويحيي فيها ما اماتته التقاليد من عقائدها وعليه ان يعلن ذلك فاكون اول الساعين معه اليها وانا في انتظار ذلك ان شاء الله

ح ع

باب التربية والتعليم

﴿ القسم الثاني من خطبتنا في التربية ﴾
 وأما تربية الاطفال العملية * فهي التربية النافعة الحقيقية * وبها تناط سمادة الامة والبلاد اذا هي سارت على نهج الحكمة والرشاد * لنا من نفوس هؤلاء الاطفال ألواح صقلية قابلة لكل نقش * ومن أدمغتهم قراطيس بيضاء نظيفة مستعدة لكل رسم * فعلينا ان ننقش فيها آيات الحكمة والفضيلة * ونرسم فيها تعليم المبادئ التي تؤدي الى الغايات الجليلة * علينا ان نودم على الصدق في القول والعمل * وعلو الهمة واطراح الاهمال والكسل * الى غير ذلك من الاعمال النافعة * والحاصل الرافعة * لتنتطح في نفوسهم الملكات